

# أنستاس الكرملي

١٨٦٦ - ١٩٤٧

للأستاذ مهدي القزاز



## وفاة الكرملي :

في صباح اليوم السابع من شهر يناير سنة ١٩٤٧ توفي في المستشفى الملكي ببغداد العلامة ( الأب أنستاس ماري الكرملي الحافي ) أثر أمراض لازمته منذ مدة من الزمن كان يتغلب عليها بحيوته ونشاطه حتى تغلبت عليه في الأيام الأخيرة فاضطرته إلى دخول المستشفى . وكان وهو يصارع هذه الأمراض داخل المستشفى ، يطالع ما يأتيه من الكتب ويرد على الرسائل التي ترده من الشرق والغرب ويحيب على الأسئلة ويستقبل زواره الذين كانوا يتوافدون للاطمئنان على صحته . حتى أصبحت الغرفة التي ينام فيها مجلساً للشعر والأدب والنقد اللغوي ! وكان يشترك في بعض الأحاديث - بالرغم من مرضه الشديد ويستأنس بهذا الجو العابق بأحاديث الشعراء والأدباء الذين يقدون للسلام والاطمئنان .

وقبل وفاته بثلاثة أيام منعه الأطباء من المطالعة والكتابة ومنعوا أيضاً عنه الزيارات ففأش - رحمه الله - أيامه الأخيرة في وحدة قاسية متألماً من شدة المرض الذي هجم عليه هجومًا عنيفاً وترك هيكله الضخم حطاماً لا يعرف ، ولم يقدر سهر الأطباء والمبليات التي أجريت له ومختلف أنواع العقاقير فمضى ما سؤفاً عليه ، وأذاعت نعيه محطة الإذاعة العراقية ثم لجنة الترجمة والتأليف والنشر في وزارة المعارف وتناقلت محطات الإذاعة في الشرق والغرب هذا النعي وأبقت الفقيه بما تستحقه مكانته الأدبية وخدماته للغة العرب وتاريخهم .

## تاريخ الكرملي :

ولد الكرملي في بغداد في اليوم الخامس من شهر آب سنة ١٨٦٦ بمنحدرًا من أم عراقية . ولما بلغ سن الدراسة ألحقه والده بمدرسة الكتيبة اللاتينية الابتدائية ، وأهم منذ صغره

بدراسة اللغة العربية ومفرداتها . وفي سنة ١٨٨٦ رحل إلى بيروت ودخل المدرسة اليسوعية الاكليريكية ، وعلى يد أساتذتها درس اللاتينية واليونانية ونسخ فيها نبوغاً عظيماً دهش له الأساتذة . وكان إلى جانب دراسته هذه يدرس العربية أيضاً دراسة متصلة لا تنقطع .

ولما كان طبعه الجسور لا يستقر ولا يهدأ ، ومطامعه لا تقف عند حد فقد ترك بيروت قاصداً مدينة (شيفرمونت) في بلجيكا فأنخرط هناك في سلك الرهبنة وانغمز في الدراسات الفلسفية واللاهوتية ، وقد فتحت له هذه الدراسات أجواء جديدة من المعرفة . ثم ترك ( شيفرمونت ) إلى مدينة ( لاغنو ) ثم مدينة ( مونتلبليه ) في فرنسا ، فأبجز دراسته في الدير الكرملي هناك ورسم كاهناً باسم ( أنستاس الكرملي ) ولما تم له هذا النجاح سافر إلى أسبانيا وأقام هناك مدة ينتقل في المدن الأسبانية ويدرس آثار العرب ومخلفاتهم وما تركوا من ذخائر نفيسة في التاريخ والشعر واللغة والأدب ، واستنسخ عدة مخطوطات هامة من الأديرة والكنائس والمتاحف لا تزال محفوظة في مكتبته الماصرة إلى الآن .

وبعد أن أنهى رحلته في أسبانيا رجع إلى بغداد فعملت إليه إدارة المدرسة الكرملية وتولى فيها تدريس اللغتين العربية والفرنسية . ثم رأى أن هذا الجو يضيق بمعارفه وبتفكيره وما طبع عليه من انطلاق وتحرر وما في جبلته من حب للاستزادة من البحث والدرس فترك المدرسة وانصرف للتفتيح والتأليف في اللغة العربية وتاريخها والوقوف على أسرارها فكان لا يدخر وقتاً ومالا في سبيل الحصول على كل مخطوط أو كتاب يرى فيه عوناً لأبحاثه ودراساته .

وفي هذا التاريخ لمع اسم ( الكرملي ) باحثاً وعانكاً لغويًا لا يجاري ، فأخذ يضع التأليف القيمة والبحوث الهامة والدراسات المفيدة وينشر فصولاً في المقتطف والحلال والشرق وفي المجالات الأوربية التي قدرت سمة اطلاعه ونبوغه فأخذت ترأسه وتمتعده عليه وتتشيره في الشؤون التي اختص بها . كما أن دوائر الاستشراق رأت فيه عالماً مطلقاً وباحثاً عبقرياً فاعتمدته في أبحاثها ودراساتها والإشراف على بعض ما يشكل عليها في تاريخ اللغة والأدب .

وحرصاً على هذا الكثر النفيس من الضياع وحرمان الجمهور من فوائده وتمكيناً للعلماء والباحثين والطلّاميين من ارتياد هذه المناهل فقد تقرر بعد وفاته تأليف لجنة لتنظيم شؤون هذه المكتبة وإدارتها وإيجاد عمارة خاصة بها تفتح أبوابها للباحثين من رواد العلم . وتأخذ هذه اللجنة على عاتقها طبع تأليف الملامة الفقيد والمخطوطات النفيسة الأخرى . والتوقع تأليف هذه اللجنة من صاحب المال الدكتور حنا خياط ويوسف غنيمية وبعض الأفاضل وقد علمنا أن اللجنة الثقافية في الجامعة العربية قد عهدت إلى مندوب العراق في الجامعة إبلاغ الحكومة العراقية رجاء اللجنة في أن تقتنى الحكومة مكتبة المرحوم الكرملي قبل أن تضيع وتبتر.

### أوب الكرملي :

نشأ الكرملي نشأة دينية وثقافة فلسفية، وعكف على دراسة اللغة العربية واللغات الأخرى وانصرف لبحوث التاريخ . وبرع في علوم اللاهوت واشتغل أكثر سنوات عمره بتأليف الكتب التاريخية والفلسفية والدينية . وكان رائداً من رواد اللغة العربية وتاريخها . ولذا تجلت عبقريته في هذا اللون من الأدب وحده . وكان حافظاً ورواياً من الطراز الأول لكثرة ما قرأ من الكتب وطالع من الأسفار وتبع من الحوادث .

كان الفقيد يعقد مجلساً أدبياً يداره في (دير الكرمليين) في يوم الجمعة من كل أسبوع ، وكان يختلف إلى هذا المجلس صفوة مختارة من الشعراء والأدباء والورّخين والصحفيين وبعض الأساتذة والطلاب . تختلف أذواقهم ومشاربهم . ولكن تجمعهم رابطة الأدب واللغة وحب البحث والجدل وتدوق هذه الألوان الفكرية التي كانت تدور في هذا المجلس الذي كان دائماً يعمر بالرواد فيبحثون في قضايا الأدب والنقد والشعر ويثيرون بعض المسائل الفكرية التي تتخذ في النهاية شكلاً من أشكال الجدل يطلع منه المرء على تيارات مختلفة من الأفكار والمنازع والأهواء .

وكان الكرملي يشترك في جميع البحوث والناقشات الفكرية التي تدور في مجلسه ويديرها ، وإذا لزم الأمر يبرز ما لديه من الراجع والمستندات والوثائق التي تزدهم بها مكتبته الماسرة في مختلف اللغات واللهجات للبرهنة على وجهة نظره وتأييد فكرته . وكنت من الذين يحضرون مجالس الكرملي الأدبية هذه ويشتركون في بعض المناقشات التي تثار في قضايا الأدب والفكر

وفي سنة ١٨٩٦ أنشأ ( الكرملي ) جريدة ( العرب ) فماشت أربع سنوات ثم مجلة ( دار السلام ) التي عاشت سنة واحدة . وفي سنة ( ١٩١١ ) أصدر مجلة ( لغة العرب ) فكانت من أرقى المجلات العربية في العالم العربي حرر فيها نخبة من كتاب العراق والبلاد العربية ، وقد عاشت هذه المجلة عدة سنوات ثم أغلقت . وعند إعلان الحرب المالية الأولى سنة ١٩١٤ نفي الكرملي خارج العراق بسبب ميوله الوطنية ثم أفرج عنه ، وفي هذه الأثناء انتخب عضواً في مجمع الشريقات الألمان وذلك سنة ١٩١٦ وبعد ذلك انتخب عضواً في المجمع العلمي العربي بدمشق ثم عين عضواً في المجمع الملكي المصري للغة العربية .

وانصرف الفقيد بعد ذلك إلى التأليف وحضور المؤتمرات اللغوية ، وكان دائب السفر بين بغداد والقاهرة والقدس وبيروت باحثاً ومستقصياً ومستنسخاً ، حتى تمكن من تأليف ما يقارب الأربعين مؤلفاً في الآداب واللغة والفلسفة والدين ، ومن أهم كتبه المطبوعة ( التوزيل بالمراد في تاريخ بغداد ) و ( مختصر تاريخ العراق ) و ( جهرة اللغات ) و ( كتاب الجوع ) و ( كتاب المعجائب ) و ( كتاب أديان العرب ) وغير ذلك من الكتب المهمة ؛ كما أنه وضع معجماً عربياً خطياً بمدحجة في بابيه . وله معجم (عربي فرنسي) مطول . أما كتبه وتأليفه غير المطبوعة فكثيرة ومهمة جداً نأمل أن تقوم وزارة المعارف بطبعها خدمة للغة العربية وتاريخها ولذكري الفقيد الراحل .

وكان الكرملي يتقن إلى جانب اللغة العربية اللغات اللاتينية واليونانية والفارسية والتركية والانكليزية والفرنسية والأسبانية؛ وله أبحاث عديدة في هذه اللغات نشرتها مجلات الغرب في حينها وكلها تناول لغة العرب وتاريخهم وآثارهم .

### مكتبة الكرملي :

يملك الفقيد مكتبة تمد من أنفس المكتبات في العالم العربي بما حوته من كتب مخطوطة ومطبوعات نادرة . جمعها من مختلف بلاد الشرق والغرب وبذل في سبيلها أموالاً كثيرة حتى كان رحمه الله يتجشم مشاق السفر في سبيل الحصول على مخطوطات استثنائه مما بمد المكان والقطر . ويقال إن مكتبته تحوى في الوقت الحاضر على ما يقرب من ( ١٤ ) ألف مجلد بمختلف اللغات جمعها الفقيد في خمسين سنة .